بريد الجمعة

ثراء
المعارف الرقمية

يكتبه: عبدالوهاب مطاوع

الذكريات السعيدة!

شاءت لى أقدارى أن أحتاج الى مشورتك ، وقد كنت أظن من قبل وبالرغم من مداومتى على قراءة بابك أن المرء العاقل المثقف أقدر دائما على فهم جوانب مشكلته وحلها الحل المناسب من غيره.. وهاقد اثبتت لى الأيام خطأ ظنى.. ووجدتنى عاجزا عن اتخاذ قرار بشأن حياتى واحتاج الى مشورتك فيها.

فأنا مهندس تجاوزت الثامنة والأربعين من عمرى بشهور.. كنت أعيش مع زوجتى الأستاذة الجامعية.. وابنى الطالب بالسنة الأولى بكلية مرموقة ـ حماه الله ـ وابنتى الطالبة بالسنة الأولى الثانوية.. أخرج الى عملى بشركة أجنبية بالمدينة الساحلية التى نقيم فيها فى الصباح، فيأخذ عملى كل وقتى ولا أرجع الى البيت إلا فى المساء، فأسعد بأسرتى الصغيرة المتحابة ونجلس للعشاء، نتبادل الأحاديث العذبة عما حدث لى ولأفراد الأسرة خلال يومنا.. وادع شئون البيت والأسرة كلها لزوجتى تديرها بحكمتها كيفما تشاء من مأكل وملبس ونزهات ودروس للأبناء.. وتستشيرنى فيما يعرض لها من امور فأوافق غالبا على رؤيتها . وأقوم بالإنفاق.. وتتولى هى التنفيذ.. وهى قوية الشخصية وعنيدة فى طلباتها ولا تلين بسهولة اذا اقتنعت برأى..

أما فى المساء، فهى زوجتى وحبيبتى وسكنى وراحتى .. ومضت بنا الأيام بحلوها ومرها وأدينا فريضة الحج معا قبل سبعة أعوام .. ورحل أبى عن الحياة وقد كان لى نعم السند والمشير ـ يرحمه الله ـ فحزنت لفراقه كثيرا.. وحججت عنه فى العام التالى.. ورجعت من الحج وأنا أكثر حبا وتعلقا بزوجتى فصارحتها بأن فترة بعدى عنها قد اكدت لى عمق تعلقى بها وعدم قدرتى على فراقها ورجوتها مازحا الا تستغل فى هذا الضعف تجاهها.. وتوالت الأيام رخية هانئة.. وحقق ابنى وهو قرة عينى وعين والدته املنا فى التفوق فى الثانوية العامة.. والالتحاق بنفس الكلية العملية المرموقة التى تخرجت فيها أمه.. وتبعته أخته على طريق التفوق وهى شديدة التعلق بأمها الى حد أن كانت لا تنام فى كثير من الأحيان إلا بجوارها.. وحتى كنت أمازحها قائلا لها إنها تحرمنى بذلك من زوجتى وحبيبتى.

والدنيا جميلة.. وزوجتى فى قمة صحتها وتألقها وجمالها تنتظر فى شوق الترقية الى وظيفة أستاذ بكليتها.. والأيام قد لانت لى فتحسنت أحوالى المادية والعملية.. ونحن نقيم فى شقة جميلة بعمارة يملكها أبى يرحمه الله.. وقد طلب منى قبل رحيله عن الدنيا وبعدا منى له بألا يدخل عمارته غريب عنا.. حيث لا يقيم فيها إلا الإخوة ولكل منهم الى جانب شقته شقة اضافية لأبنائه فى المستقبل.

ومنذ ثلاثة أشهر وقفت زوجتى أمامى تضحك وتتحدث عن المستقبل والمكان الذى سنقضى فيه إجازة الصيف المقبلة.. وعن زميلة لها مصابة بالمرض اللعين وتستعد للسفر الى لندن للعلاج وإجراء الفحوص.. وفجأة وجدتها تجلس على المقعد وهى لا تستطيع التنفس.. وتقول لى إن قلبها يتوقف .. ثم تنطق بالشهادتين.. وتغيب عن الوجود الغياب الأبدى.. وكل ذلك فى ٥ دقائق فقط وأنا لا أصدق مايجرى أمامى.. ولا املك لها نفعا.. ولا أستطيع أن أدفع عنها هذا الزائر الغامض الذى قوض سعادتى وسعادة أسرتى واختطف زوجتى أمام عينى..

وزلزل الحدث كيانى كله وشعرت ببأس شديد من كل شىء، وأدركت أن الحياة ما هى إلا لهو ولعب وزينة ثم لاشىء بعد ذلك.. وتماسكت ظاهريا أمام الناس وأبنائى.. ورحت أدعو لزوجتى الراحلة فى صلاتى وأناجى ربى بالدمع أن يرضيها ويرضى عنها ويدخلها جنته ويجمعنى بها فى مستقر رحمته بإذن الله مصداقا لقوله تعالى: «هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون».

والآن فإننى أواجه الحيرة فيما أصنع بنفسى وحياتى بعد غياب زوجتى عنى .. فابنى كبير بما فيه الكفاية ويستطيع أن يكمل مشواره بارشاد بسيط من جانبى.. أما ابنتى فلاتزال تحتاج الى الرعاية وأحاول الآن بكل جهدى أن أملأ فراغ أمها فى حياتها.. والأسئلة الحائرة التى تتردد داخلى الآن هى: هل أعيش لابنتى وابنى حتى التخرج وزواج كل منهما وسوف يستغرق ذلك عشر سنوات تقريبا.. فيكون عمرى حينئذ ٥٨ عاما.. فأعيش من بعدهما وحيدا أجتر ذكريات السعادة القديمة؟ أم هل أبحث عن زوجة لى تكمل معى مشوار الحياة فتكون زوجة أب لولدى وبنتى وما أدراك مازوجة الأب خاصة بعد أن تنجب؟

أم هل أتزوج مطلقة لاتنجب منى فتتقاسم معا بقية العمر وتكون أما ثانية لأبنائى وأكون أبا آخر لأبنائها، وإذا فعلت ذلك فهل يكون الزواج فى شقتى الحالية التى شهدت رحلة العمر مع زوجتى الراحلة.. أم فى شقة خارجية.. لتكون زوجة الأب بعيدة عن أبنائى؟ إننى لا أعرف أى طريق أسلك ولا أين أجد الزوجة الملائمة لى خاصة أن عملى بعيد عن الاختلاط بالناس، مما يجعل الاختيار والمفاضلة أمرين شبه مستحيلين؟

أرجو النصح والإفادة.. وشكرا.

وتعقب هذه الرسالة أقول:

كلنا فى حاجة الى مشورة الآخرين فى أمورنا بأصدقائى.. غير أن هدوء الموج قد يوهمنا فى بعض الأحيان أننا فى مأمن من العواصف.. فإذا اضطرب البحر فجأة فزعنا بسرعتنا الى المرافىء نلتمس فيها الأمان.. ونستعين بتجارب الآخرين وخبرتهم على اختيار المسار الآمن لها عند مواصلة الرحلة من جديد.

ولاشك فى أنك تقف الآن فى مفترق للطرق يتطلب منك الحكمة والرشاد فى اختيار المسار الجديد لسفينة حياتك وحياة ابنيك خلال المرحلة المقبلة من العمر، غير أن آثار العاصفة التى زلزلت أركانها لم تزل قريبة فى الأفق .. ولم يمض بعد الوقت اللازم لاستيعاب ماجرى.. وترميم ما أتلفته العاصفة فى نفوس ركاب الرحلة.. قبل التهيؤ لاستئنافها من جديد.. واتخاذ قرار متعجل الآن بشأن حياتك سوف يكون متأثرا غالبا بحالة الفراغ العاطفى والإنسانى الكبير الذى تعانيه حاليا بسبب الغياب المفاجىء لشريكة العمر، وقد يقودك التعجل فيه الى مهاوى سوء الاختيار لنفسك او لأبنائك.. لهذا فإن نصيحتى المخلصة لك هى أن تمنح نفسك أولا الوقت الكافى لاسترداد سكينة النفس والقلب وصفاء التفكير بعد الصدمة المزلزلة التى اعترضت حياتك، ثم تبدأ بعد فترة النقاهة النفسية الضرورية، التفكير فى مستقبل أيامك.. ذلك أنك سوف تحتاج أول ما تحتاج الى إشراك ابنيك معك فى الاختيار لحياتك المقبلة، لكى يكون قرارك بشأنها مقبولا منهما ويتمتع بتأييدهما له..

ومفاتحتك لابنيك الآن وبعد ثلاثة اشهر فقط من رحيل أمهما عن الحياة فى أمر مستقبل حياتك بعدها.. قد يصدم مشاعرهما ويتعارض لديهما مع الاحترام الواجب لتذكرى الأم الغالية.. أما حين تمضى الفترة الكافية.. ويلمس الابنان معاناتك لوحدتك.. واحتياجك الإنسانى لمن تعيد اليك الإحساس بالأمان والثقة فى المستقبل.. ويلمسان كذلك أثر افتقاد دور ربة الأسرة فى حياتهما الشخصية .. فلسوف يكونان مهيأين نفسيا وإنسانيا لبحث الأمر والتداول معك فيه.. ولقد يترفقان بك ويحنانك على التماس السلوى والعزاء عن وحدتك فى رفقة جديدة للحياة.. وفارق كبير بين أن يجىء الاقتراح من جانبيهما رفقا بأبيهما وحبا له، وبين أن يضعهما الأب فى مثل هذا الحرج الإنسانى بعد ثلاثة أشهر فقط من مغيب شمس أمهما عن الحياة..

وحين يجىء الأوان للاختيار فقد يكون من الحكمة أن تدع القرار بشأن «شكل» الحياة الزوجية المقبلة لك لابنيك بالتشاور معك.. فتعرف منهما هل يقبلان بأن تحل سيدة أخرى محل أمهما فى حياتك وحياتهما ويرجع شكل الأسرة الكامل اليهما.. أم يفضلان لك ولنفسيهما أن تكون لك حياة زوجية مستقلة عنهما وفى مسكن آخر بعيد عن موطن ذكريات الأم الراحلة؟

ولقد تكون البداية التى يفضلانها الآن هى الحياة الزوجية المستقلة لك فى مسكن آخر مادمت قادرا على ذلك، ولقد يكون العكس.. أو قد تكون البداية «مستقلة» ثم لاتلبث شخصية الزوجة المقبلة اذا كانت رحيمة وحكيمة أن تجتذبهما اليها حتى ليفضلا ان تشاركهما الحياة وتعوضهما عن نور الأم الغائب فى حياتهما .. وفى كل الأحوال فإن حسن الاختيار كفيل بتفادى كل الأشواك والهواجس التى تراودك الآن بشأن زوجة الأب المقبلة، وكم من زوجات للأب كن نعم التعويض النفسى للأبناء الذين حرموا من أمهاتهم.. وكم من غيرهن أيضا قد ضاعفن من شعور الأبناء بفداحة خسارتهم لأمهم.. غير أن الفضليات كثيرات وخير الزيجات فى مثل ظروفك الحالية هى من قدمت الحل الملائم لمشكلة الطرفين معا.. وليس لمشكلة طرف على حساب طرف آخر.. وفى ذلك فلقد تكون المطلقة او الأرملة القريبة منك فى العمر والظروف العائلية والاجتماعية هى أفضل الاختيارات المرشحة للنجاح والاستمرار.. والقبول من الأبناء .

إما الانتظار لعشر سنوات حتى يتخرج الإبنان ويتزوجا.. فليس من الحكمة فى شىء لأنك لن تطيقه.. وانت الذى بؤرقك الآن بحث مستقبل حياتك بعد ثلاثة أشهر من رحيل الزوجة الغالية.

والأوفق هو أن تصبر على ظروفك بعض الوقت ثم تختار لحياتك ما يعيد اليها السعادة والإمان بإذن الله.